الدرر المقدسية
منبر فلسطين للعلم والدعوة والتربية

مجلة الدرر المقدسية

مجلة دعوية تربوية، تصدر شهرياً عن مؤسسة الدرر المقدسية | العدد (41) - تموز / يوليو 2025م

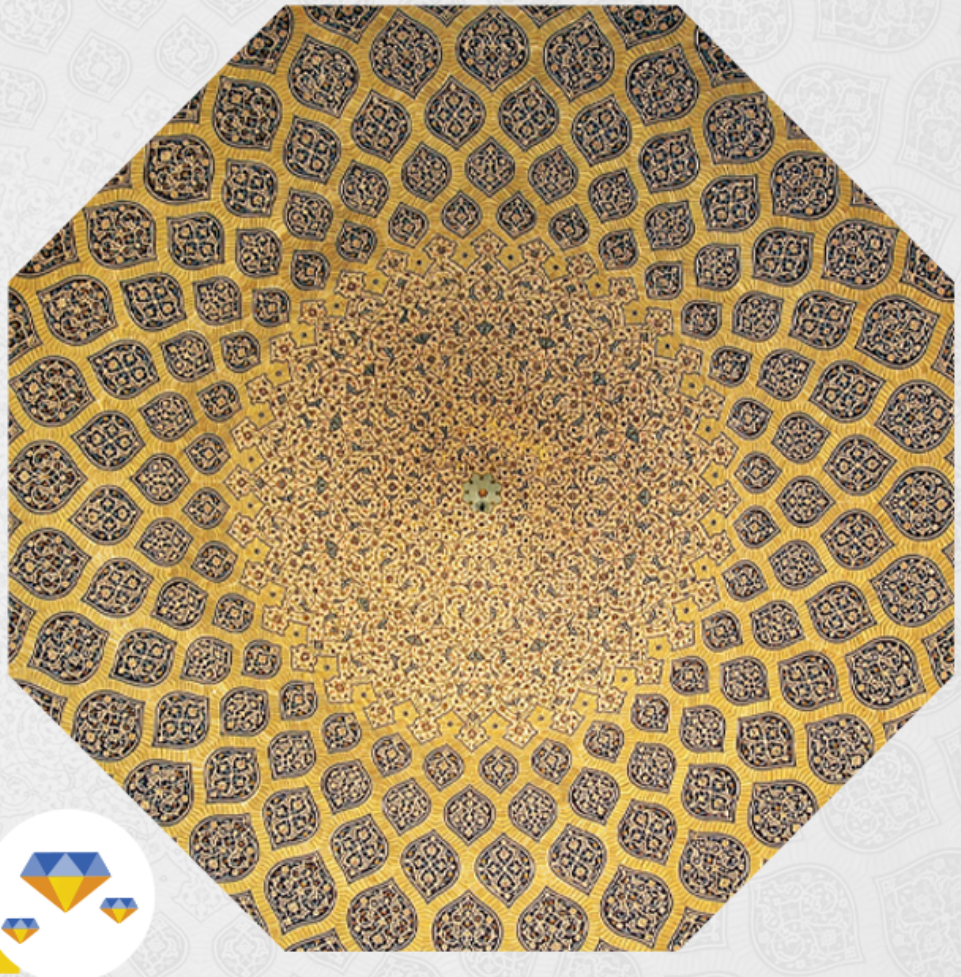

من دار ابن الأرقم إلى الدولة هكـــــــذا أفهم الأمل
د. ميلاد مساد

رأس السنـــــــة الهجرية وتجديد العهد مع فلسطين
د. ســـــوار الجزار

التخطيط للهجرة النبوية استراتيجيـــــة ملهمة
أ. أسامة إبراهيم حمد

من مكـــــة إلى فلسطين الهجرة رمز للتحرر من الظلم
د. يوسف زقوت

التربية الإيمانيـة قبل قيام الدولة
د. فايز أبو سرحان

الفهرس

الفهـــــرس.....01

الافتتاحيـــة 02

من دار ابن الأرقم إلى الدولة... هكذا أفهم الأمل، د. ميلاد مسّاد.....03

رأس السنة الهجرية وتجديد العهد مع فلسطين، د. سوار موسى الجزار.....04

التخطيط للهجرة النبوية ... استراتيجية ملهمة، أ. أسامة إبراهيم حمد.....05

عام جديد ... ولتنظر نفس ما قدمت لغد، أ. إسلام بن نائل طالب.....08

من مكة إلى فلسطين ... الهجرة رمز للتحرر من الظلم، د. يوسف زقوت.....10

التربية الإيمانية قبل قيام الدولة، د. فايز أبو سرحان 11

عاشوراء الصبر والثبات في وجه الظلم، أ. حامد أمين دراغمة.....13

الهجرة.. روح الأمة المتجددة، د. فادي عصيدة 15

قصيدة بعنوان (فليدعُ نادِيَه)، أ. نسيم عبادلة 16

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

الإخوة والأخوات، قراء مجلتنا الغراء... بداية، اسمحوا لنا أن نبعث إليكم بأجمل التحيات وأطيبها، ونهنئكم بمناسبة السنة الهجرية الجديدة التي تتزامن مع هذا العدد الجديد من إصدارات هذه المجلة الرائدة فكرًا وموضوعًا.

نسعى من خلالها أن نكون مرجعًا نقيًا بعيدًا عن الضجيج والشك وغواية الشبهات، لذا فهي تُعدّ منبرًا للفكر الإسلامي النقي، يسهم في تجديد الوعي، يجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين الإيمان الواعي والتفكير المستنير. إنها مجلة إسلامية جاءت الحاجة إليها من أجل القراءة الواعية للنصوص المقدسة في وقت تتزاحم فيه الخطابات وتتنازع التأويلات، فتعيد تلك النصوص إلى مقاصدها العليا التي جاءت رحمة للعالمين.

تحمل هذه المجلة في جوهرها رسالة إحياء فكري نابع من الإيمان، لأن الدين ليس ضد العقل بل هو داعٍ له. إنها تدعو إلى التحرر من عبودية الهوى وعبث الفوضى.

كُتّابها من خيرة علمائنا، جادت أقلامهم بمقالات دلّت على فكر مستنير وعيون مفتوحة، لأنها تستمد نورها من هدي القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم. لذا، نسعى أن تكون هذه المجلة دعوة للحياة بمعناها الأسمى، دعوة للإيمان العاقل والالتزام الحي.

ندعو قراءنا جميعًا إلى التفاعل معنا والمشاركة في صياغة هذه المجلة، لأننا نريد أن نكون جسرًا بين القلوب والعقول، وبين الماضي والحاضر، وبين الدين والحياة.

من دار ابن الأرقم إلى الدولة

هكذا أفهم الأمل

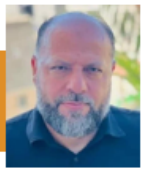

د. ميلاد مسّاد
باحث دكتوراة - مدرس في وزارة التربية والتعليم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين وعباده المصطفين، وبعد:

منذ أن بزغ فجر الإسلام ومنَّ الله على المؤمنين أن بعث فيهم رسول الله ﷺ يعزز فيهم الإيمان والأمل والثقة المطلقة بأن الله مظهر دينه ومعز أوليائه وناصر جنده.

ومنذ أن لجأ المسلمون المستضعفون إلى دار الأرقم سرًّا يتلون كتاب الله ويتدارسونه ويخفون إسلامهم عمن حولهم من الناس، والنبي يبني فيهم الثقة والوعد بخلاصهم من الظلم والاضطهاد والعبودية، إعدادًا لهم لتأسيس دولة الإسلام ببنيان قوي متين مرصوص.

وقد واجه المؤمنون أشد وأقسى ألوان العذاب في مكة من قبل قريش ليردوهم عن دينهم إن استطاعوا، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ويثبتهم على رسالة الحق، {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: 55]. وقد ناشد الصحابي الخباب بن الأرت رسول الله بقوله: يا رسول الله، ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟" فيقول ﷺ: "والله ليبلغن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون"، وبذلك يؤسس القرآن الكريم والسنة الشريفة قوة كبيرة في نفوس المؤمنين، تشرح صدورهم، وتداوي جراحهم، وتحثهم على العمل الدؤوب، وتدفع عنهم الخور والكسل والقنوط، وظل المؤمنون على هذا الحال سنوات عديدة حتى أمر رسول الله ﷺ المستضعفين منهم بالهجرة إلى الحبشة، يلجؤون إلى ملكها وينشرون دعوة الله هناك. ثم هاجر النبي ﷺ إلى المدينة لوضع اللبنة الأولى لبناء الدولة الإسلامية، بعد أن بناها ورسخ مبادئها في نفوس أصحابه في ظل الثقة بالله والسكينة، وهو يقول لصاحبه في الغار: "لا تحزن إن الله معنا".

فلم ييأس دعاة الإسلام في تلك الحقبة من نصر الله لهم وظهور الإسلام على الدين كله. وأنزل الله: {مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ} [الحج: 15].

ولنا في قصص الأنبياء السابقين عبرة وعظة. فنبي الله يعقوب ظل يحذوه الأمل بلقاء يوسف، فيقول لأبنائه: {يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف: 87]. واطمأن على هذا الحال حتى وجد ريح يوسف من قميصه فارتد بصيرًا، ورفع على العرش في مصر. وكذلك موسى عليه السلام، حين أدركه فرعون بجنوده من خلفه والبحر المائج من أمامه، وقف يملؤه الأمل مستنكرًا قول أصحابه: {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ*قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الشعراء: 61-62].

وهكذا هي سيرة الأنبياء والصالحين، لا يعرفون لليأس طريقًا ولا للقنوط محلًّا. يلازمهم الأمل والإيمان، يبعث إيمانهم في نفوسهم أملًا بنصر الله وعلو كلمته مهما اشتدت بهم الخطوب وتلاطمت بهم الأمواج. وها هو رسول الله ﷺ على فراش موته يوصي بتسيير بعث أسامة، مرسخًا أمل الفتوحات ونشر الدعوة في أرجاء الأرض رغم اقتراب رحيله ﷺ. ويبشر رسول الله بطائفة على طريقه تحمل لواءه وتسير على خطاه في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، بقوله: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خذلهم إلا ما أصابهم من لأواء، قيل: أين هم يا رسول الله؟ قال: في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس".

وإنا لنراهم أمام أعيننا وبين جنبينا يقاتلون في سبيل الله، على قلة عددهم وعدتهم، أعتى قوة في العالم، مستبشرين بنصر الله، تعمر قلوبهم آيات النصر والفتح المبين، منتظرين وعد الله لهم: {وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا} [الأحزاب: 27].

رأس السنة الهجرية
وتجديد العهد مع فلسطين

د. سوار موسى الجزار
دكتوراه الفقه وأصوله - وزارة الأوقاف الفلسطينية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيد الخلق وحبيب الحق، سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم وسار على دربهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

يقول الحق سبحانه وتعالى، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة: 214]. وقال صلوات ربي وسلامه عليه في الحديث: "بشِّر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين في الأرض".

الإخوة الأكارم، وقفتان مع بداية عام هجري جديد، سائلين المولى سبحانه أن يكتبه عام خير ورحمة وعز ونصر للإسلام والمسلمين:

الوقفة الأولى: بعنوان (من رحم الألم يخرج الأمل)

شرَّفنا الله تعالى بأن كتبنا مسلمين، وكرمنا بأن جعلنا من أمة سيد الخلق والمرسلين. هذه الأمة التي تعاني هذه الأيام من الطغيان والظلم والاستبداد على مختلف الأصعدة. وفي خضم هذه الظروف العصيبة والفتن المتلاطمة والأزمات المتوالية، نقول: مهما اشتدت الكروب، ومهما ادلهمت الخطوب، ومهما اشتعلت نيران الفتن، سيكرم الله هذه الأمة بنصر عزيز مؤزر. فكما أكرم الله تعالى حبيبه المصطفى ﷺ بالمنحة بعد المحنة، والأمل بعد الألم، والفرج بعد الضيق، واليسر بعد العسر، بعد مسلسل طويل من الظلم والقهر والاستبداد، فمع بداية عام هجري جديد نستشرف ببشريات النصر والتمكين التي ستولد من رحم القهر والظلم والمعاناة بإذن الله تعالى. وهذا تحقيق للوعد الإلهي المقرر في سورة الإسراء القائل: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ...} [الإسراء: 7]. فاستبشروا بنصر الله القادم.

الوقفة الثانية: رسالة لمن وصل إلى مرحلة اليأس والقنوط

بسبب الظروف العصيبة التي نمر بها والفتن المتلاطمة التي تعصف بنا، مع حديث النبي ﷺ القائل: "بادروا بالأعمال الصالحة فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا".

أيها الإخوة الكرام، أيتها الأخوات الكريمات، لابد من وقفة نستلهم منها الحكمة من تأخير النصر والتمكين للإسلام والمسلمين. نقول: إن سنة الله تبارك وتعالى ماضية في خلقه، بأنه لا تمكين إلا بالابتلاء، ولا عزة ولا نصر لأمة الإسلام إلا بتطبيق سنة الابتلاء. ولعل من حكم الابتلاء أنها تمحيص واختبار لصفوف المؤمنين. فكما جرت هذه السنة على الأولين، سوف تمضي علينا، ليميز الله صفوف المؤمنين الصادقين من المنافقين والمندسين على هذا الدين، استنادًا لقوله تعالى: {لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} [الأنفال: 37].

ولعلي أختم مقالتي ببداية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرناه آنفًا، حيث قال: "بادروا بالأعمال الصالحة فتنًا"، فقد قرن المبادرة بالأعمال الصالحة مع اشتعال الفتن. وكأني بحبيب رب العالمين يخاطبنا في هذه الأيام بأن نعود عودة صادقة إلى الله تبارك وتعالى. حري بنا في هذه الأيام أن نعلن التوبة والعودة الصادقة إلى الله، وأن نرتقي من مرتبة الإسلام إلى مرتبة الإيمان التي نستحق عندها النصر. فربنا تبارك وتعالى عندما تحدث عن النصر والتمكين في القرآن الكريم، قرنه بوصف الإيمان ولم يقرنه مطلقًا بوصف الإسلام. وكثيرة هي الآيات القرآنية الدالة على ذلك، منها قوله تعالى: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: 47]. ليدل ذلك على أن تحقق مقاصد العبادات على قلوبنا وأركاننا وجوارحنا شرط لتحقق النصر؛ لأن الإيمان معناه: ما وقر في القلب وصدقه العمل. كتبنا الله وإياكم من عباده المؤمنين المتقين، وعجّل بالفرج والنصر والتمكين للإسلام والمسلمين.

التخطيط للهجرة النبوية
استراتيجيـــة ملهمـــة

أ. أسامة إبراهيم حمد
ماجستير الفقه والتشريع وأصولـــه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد:

إن العمل بلا خطة يعد إهدارًا للوقت والجهد، وقد يكون طريقا نهايته الفشل. فالتخطيط الاستراتيجي هو العمود الفقري لإنجاح أي مشروع؛ لأنه يمثل خارطة الطريق التي ترشد إلى النجاح، {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} [الأنفال: 60]. فالجهاد يحتاج إلى إعداد، وكذلك الهجرة أو أي أمر يحتاج إلى إعداد. ولذلك، فإن النبي ﷺ أثناء هجرته وضع هدفًا، ووضع خططًا للوصول إلى هذا الهدف، وسار بطريقة ممنهجة ومرتبة وواضحة، مما يعين على صياغة خطط أفضل. وهذه الخطط الممنهجة سهلت عملية السير والتقدم نحو الهدف بخطى ثابتة. وهذا إن دل فإنما يدل على قدرة النبي محمد ﷺ على التخطيط الدقيق والمحكم للأمور، حتى في أصعب الظروف واللحظات. ولذلك، فإن الهجرة النبوية ليست حدثًا عابرًا، بل هي حدث متجدد العبر والدروس في كل زمان ومكان.

ولم تكن تبعات الهجرة ونتائجها على جزيرة العرب فقط، بل فتحت الباب أمام خروج الإسلام إلى العالم أجمع. فهي حدث غيَّر مجرى التاريخ، بل هي الحد الفاصل بين العصور المظلمة والعصر الذهبي.

وسنتناول من هذه المنهجيات استراتيجيات التخطيط، ونذكر من هذه الاستراتيجيات:

أولًا: التوكل على الله واستشعار معيته

{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ} [الطلاق: 3]. لقد بلغ الاعتماد على الله تعالى في الهجرة النبوية مبلغه، كيف لا وصاحب الذكرى هو محمد ﷺ، وهو خير من يتوكل على الله، رغم الظلم وتزاحم الشدائد والمصائب والاضطهاد عليه وعلى صحبه من العشيرة والأقربين. ولكنه ﷺ كان على يقين بأن الله سينصره وينجز له ما وعده، فصبر واحتمل وانتظر الأمر الإلهي بالإذن بالهجرة إلى المدينة المنورة، {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: 30].

ولم يغفل النبي ﷺ مع التوكل على الله تعالى عن الأخذ بالأسباب التي هي كفة الميزان الثانية لحسن التوكل والاعتماد على الله، ويظهر ذلك فيما يلي:

1. الإسرار بخبر الهجرة: حيث حصر أمر الهجرة بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنه دون علم أحد.
2. خروج النبي من بيته محسنًا التوكل على الله تعالى: يحاصر المشركون بيت النبي ﷺ بانتظار خروجه ليقتلوه، فلم يخرج، فيدخلون عليه وإذ بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه هو الذي في فراش النبي، فيدركون فشلهم. وهذا من حسن التوكل على الله تعالى، إذ لم يُصَب علي رضي الله عنه بأذى لأن الله يرعى هذه الرحلة المباركة.
3. الطمأنينة والسير واثقًا بخطى ثابتة: سار النبي ﷺ مع صاحبه متجهًا إلى الغار مستشعرًا معية الله تعالى بعد الاعتماد عليه والأخذ بالأسباب، فلم تشعر به قريش وأعوانها على الرغم من المراقبة الشديدة، وذلك بفضل الله تعالى وحفظه ورعايته له.

4.معية الله تعالى في الغار: تبحث قريش عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى وصلوا إلى الغار، فيقول أبو بكر للنبي ﷺ: "لو نظر أحدهم إلى قدميه لرآنا"، فيرد عليه صلى الله عليه وسلم معتمدًا على الله تعالى محسنًا الظن به قائلًا: "ما ظنك باثنين الله ثالثهما". ويتجلى هنا قول الله تعالى: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 40]. فالله تعالى صرف بصائرهم وأبصارهم عن الغار، ثم أكمل النبي ﷺ رحلته.

ثانيًا: حسن التخطيط والإعداد

لقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في حسن التخطيط والإعداد، وذلك من خلال:

1.اختيار الصاحب المناسب: ومن خير من أبي بكر رضي الله عنه، ذلك الرجل الرزين الهادئ الواثق الوفي الكتوم.

2.كتم سر الهجرة: يظهر ذلك بكتمان أمر الهجرة بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنه في غير حضور أهله، حيث قال له قبل أن يخبره: "أخرج من عندك".

3.صرف شكوك قريش: حرص النبي ﷺ على تمويه قريش بصرف شكوكها عن زيارته لأبي بكر في بيته، وجعلهم يألفون زيارته اليومية له، فلم يكن يخطئه يومًا في زيارته بعد كسر الحر، ومن ثم يغير التوقيت في اللحظة المناسبة، وفي ليلة الهجرة جعل علي بن أبي طالب ينام في فراشه.

4.توقيت إعداد الرحلة: كلف النبي ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه بشراء الراحلتين وإعدادهما قبل وقت طويل من الهجرة حتى لا تفطن إلى ذلك قريش وأعوانها.

5.عدم الإفصاح عن موعد الرحلة بانتظار الأمر الإلهي: مكث النبي ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له بالهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حُبس أو فُتن، وعلي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق رضي الله عنهما، وكان أبو بكر كثيرًا ما يطلب الإذن من النبي ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله ﷺ: "لا تعجل، لعل الله يجعل لك صاحبًا"، فيطمع أبو بكر أن يكون هو (السيرة النبوية لابن هشام).

6.التخطيط السليم والحكيم في اتخاذ جميع الأسباب والتدابير: حرص النبي ﷺ على التخطيط السليم الحكيم لنجاح الهجرة، وسد جميع الثغرات المحتملة التي قد تؤدي إلى الفشل، والوقوف على دقائق الأمور كما يلي:

تأمين الطريق: حيث كلف عبد الله بن أريقط، الخبير بالطرقات، ليدلهم على السبل.

تأمين الغذاء: كانت لهذه المهمة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، فالرحلة طويلة وشاقة، ولا بد من توفير الزاد لتقوية الأجساد على المسير في دروب الصحراء وبين شعاب الجبال.

تأمين المعلومات والأخبار: تولى هذه المهمة عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه، حيث كان ينقل أخبار العدو وتحركاته إلى النبي ﷺ.

تأمين مكان السير والاختباء: كان لهذه المهمة راعي الأغنام عامر بن فهيرة، حيث قام بإخفاء أثر مسير النبي ﷺ بأغنامه ليضلل من يقصون الأثر.

تأمين الحقوق ورد الأمانات: كان لهذه المهمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كلفه النبي ﷺ أن ينام في فراشه ليلة الهجرة، ومن ثم يرد الأمانات إلى أهلها.

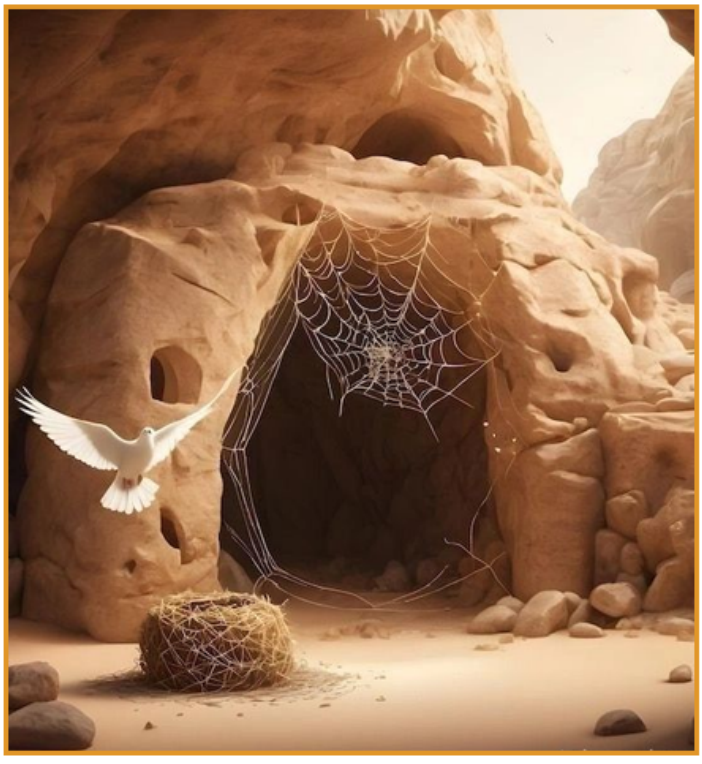

ثالثًا: التضحيــة والفـــداء

قد يحتاج الإنسان لإنجاز مهامه وتحقيق أهدافه إلى خوض المعارك والتضحيات، وليس هناك شيء أثمن من الدين لنضحي من أجله. هذا ما بينته لنا الهجرة النبوية، ويتمثل ذلك فيما يلي:

1. **تضحية الصديق رضي الله عنه:** بماله ونفسه لإعلاء كلمة الله تعالى، والحفاظ على نبي الأمة.
2. **تضحية آل الصديق رضي الله عنهم:** حيث تعرضوا للتعذيب على يد كفار قريش بهدف انتزاع معلومات منهم تدلهم على نبي الله وصاحبه.
3. **مبيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فراش النبي:** رغم علمه بأنه ربما يكون شهيدًا على يد المحاصرين.
4. **تضحية أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما:** في تحمل عناء حمل الزاد إلى النبي ﷺ رغم مشقة الطريق ووعورتها وصعود الجبل يوميًا، الذي يعجز الكثير من الرجال عن صعوده.
5. **تضحية عامر بن فهيرة:** في مهمته لمحو آثار الأقدام بواسطة أغنامه، والذي لو انكشف أمره لتم القضاء عليه ومصادرة أغنامه، وكل هذا تكلل بعناية الرحمن ورعايته.

الهجرة بين الأمس واليوم

أولًا: لقد ضاق بالأمس صدر كفار قريش بصمود النبي ﷺ وثباته على الدعوة التي بعث بها، وإصراره على نشر دعوته. فتيقنت قريش أنه لو استمر بين أظهرهم لأقام مجتمعًا صالحًا نظيفًا بعيدًا عن ظلم القبلية الجاهلية، ينتشر فيه العدل وتحفظ فيه الحقوق، ويتساوى فيه الجميع أمام القضاء، لا يستعبد غنيهم فقيرهم، ولا يأكل فيه قويهم ضعيفهم. فهذه المبادئ تقضي على تجارتهم وكبريائهم ومصالحهم التي يجنونها من فسادهم وإفسادهم. من أجل ذلك، اجتمع صناديد قريش وزعماؤها من الفجار والمفسدين في دار الندوة لحبس النبي صلى الله عليه وسلم، أو نفيه من البلاد، ولكن هذا الأمر لم يرق لبعض صناديد قريش، فاقترحوا قتله.

وما أشبه اليوم بالبارحة، حيث يتطابق كلامهم ومؤامراتهم وأفعالهم وإن اختلف الزمان. فكما اجتمع كفار قريش في دار الندوة، يجتمع اليوم صناديد الكفر والفساد ومن يتحكم برقاب العباد في مبنى مجالس النواب والوزراء ومجلس الشيوخ الأمريكي ومجلس الأمن والجامعة العربية وهيئة الأمم لمناقشة كيفية مواجهة دعوة الإسلام وإلصاق تهمة الإرهاب بهم لتوفير مبرر لمحاربتهم، وتضييع حقوق الفلسطينيين الذين هُجِّروا من ديارهم وسُلبت حقوقهم واغتصبت أراضيهم. فبنوا سجونًا لحبسهم وشرعوا قانونًا للإقامة الجبرية والنفي خارج البلاد. وهذا ما يمارسه المحتل الصهيوني ضد أبناء فلسطين، وخاصة سكان بيت المقدس، لتفريغ القدس من العرب وإتمام تهويدها. فقد هجّر الاحتلال الملايين من أبناء فلسطين خارج فلسطين وداخلها. وعندما لا يفي أمر الحبس والنفي والتهجير بالغرض، رغم ما يحمله من إجرام وسلب للحقوق، فليس هناك إلا الإعدام والقتل بدم بارد. وما أكثر حالات الإعدام بدم بارد اليوم على يد الإرهاب الصهيوني المحتل للفلسطينيين، فلا يمر يوم إلا وفيه حالات قتل بدم بارد بحجة الإرهاب، أو لأتفه الأسباب أو بلا سبب.

ثانيًا: كما أن النبي ﷺ أحسن التوكل على الله والاعتماد عليه آخذًا بالأسباب، وكان على يقين تام بأن نصر الله قادم وأن رسالة الله ستظهر على العالم أجمع، فصبر واحتمل وانتظر الأمر الإلهي بالفرج، فإن الفلسطينيين يؤمنون بالأمر نفسه، وأن الله ناصرهم لا محالة. فهم صابرون محتسبون واثقون بنصر الله كما وعد في كتابه. كما أنهم يؤمنون أن الصراع بين الحق والباطل صراع طويل وقديم، وهو سنة الله في خلقه، لكنهم يؤمنون أيضًا بعاقبته ونهايته، {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: 21].

عام جديـــــد
ولتنظر نفس ما قدمت لغد

أ. إسلام بن نائل طالب
ماجستير فقه وتشريع - إمام وخطيب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، ثم أما بعد:

مفهوم تزكية النفس:

تزكية النفس هي زيادة الخير ونماؤه فيها، وذلك يكون بالإكثار من فعل العبادات والطاعات والأعمال الصالحة، ومجانبة السيئات والشرور والآفات وتركها والبعد عنها في دار الغرور. فإذا تم للإنسان ذلك، أصبحت نفسه شريفة عفيفة زكية طاهرة، وأصبحت السعادة والطمأنينة وانشراح الصدر وهداة البال وصلاح الحال صفة وسجية لها. فهي النافعة في الدنيا والآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ومن أراد لنفسه النجاة من المهلكات والموبقات المردية في النار مأوى الفجار، ومن أراد لنفسه الراحة والحبور والسرور بدخول جنة العزيز الغفور، فما عليه إلا أن يجلس مع نفسه ويجتمع معها اجتماعًا مغلقًا، اجتماعًا يوميًا وأسبوعيًا وشهريًا وسنويًا لمعالجة العيوب وتصحيح المسار، ويحاسبها ويراجعها ويعاتبها عتاب المحبين الصادقين المشتاقين لجنة رب العالمين، ويحاسبها كما يحاسب الشريك شريكه ليدرك النعيم المقيم.

وأذكر هنا الأثر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فاروق الأمة الأواب رضي الله عنه، قال: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية".

ومن حاسب نفسه استحيا من الله في حسابه، كما قال السري السقطي. وينظر الإنسان فما كان من أعماله صالحًا وعباداته رابحة فينميها ويزيدها ويراعيها، مثل الصلوات الخمس في جماعة، والاهتمام بأعظم كتاب بانتظام ومواظبة، الذي أطلق عليه كتاب السعادة الأبدية والفرحة السرمدية، كتاب الله تلاوة وتدبرًا وتعقلًا وتفهمًا وعملًا به. وتفقد والديك برًا بهما، وهل إذا رأيت يتيمًا تحسن إليه وترفق به وتمسح على رأسه؟ وهل إذا رأيت مهمومًا مدينًا مكروبًا تواسيه وتفرج عنه كربه وهمه؟ هل تذهب إلى أحب بقاع الأرض إلى الله وهي المساجد وتجلس فيها، أم إلى أبغض بقاع الأرض وهي الأسواق؟ وعلى هذا فَقِس.

فمن المحاسبة أن تعرف ما لك وما عليك، وإعطاء كل ذي حق حقه. فما لك أخي الكريم هو المباح والجائز والحلال الشرعي أن تفعله، وما عليك هو عبادة الله والتزام الطاعة واجتناب المعصية والحقوق التي عليك. وانظر ما عليك من الحقوق: حق الله تتفقده من التوحيد والعبادة والأذكار والإخلاص بإسرار، وحق القرآن الحافظ بإذن الرحمن من الشيطان، خاصة في هذا الوقت الذي يعج بالفتن والسحر والشعوذة والعين المردية. وحق الرسول ﷺ من متابعته وقراءة سيرته وبثها بين الخلق والصلاة عليه. وحق الوالدين، وحق الزوج على زوجته من إكرامها وعدم إهانتها، وحق الزوجة على زوجها من طاعته بالمعروف.

اجلس مع نفسك وسَلْها: هل أنتِ ملتزمة بذلك، محافظة على هذه العبادات وغيرها؟ واسألها: يوم كامل أربع وعشرون ساعة، كم جعلت منه لله عز وجل؟ وكذلك من المحاسبة أن تقايس وتوازن بين نعم الله عليك وإحسانه إليك، وإساءتك له ومبارزتك إياه بالمعاصي. فإحسانه إليك نازل وواصل، ومعاصيك له صاعدة وحاصلة. فاستحِ يا عبد الله من ربك، زُرْ نفسك واجلس معها وسَلْها، وقل لها على سبيل المثال: رزقني الله بعينين اثنتين جميلتين أنظر بهما، وغيري فاقد لهذه النعمة لا يبصر ما حوله. وتفكر في حالك وأنتِ عمياء، كيف ستذهبين وتجيئين؟ وكيف تميزين بين الأشياء؟ وكيف تستمتعين بالمناظر الطبيعية الخلابة؟ وكيف تأكلين وتشربين وتعملين؟ فتشعرين بعظيم نعمة الله عليك. هنا قف طويلًا وسَلْ نفسك: هل استعملت هذه النعمة في طاعة المنعم؟ في النظر في كتاب الله ونظرة بر مع ابتسامة إلى الوالدين أو إلى زوجتك أو زوجك؟ أم متعت بصرك في المحرمات وجعلته يتقلب في نساء العالمين طاعة للشياطين؟ فإن كانت في معصيته فما أقل حيائك، وما أشد إساءتك، وما أجرأك على المعاصي!

وتفكر في نعمة أخرى، نعمة الذوق، نعمة صغيرة منحك الله إياها لتميز وتلذ بها. هذا مذاقه مالح وآخر حلو، ونفسك التي بين جنبيك تشتهي هذا المذاق وهذا الطعام، وغيرك فقد هذه النعمة، فالحلو والمالح والمر والسم والماء والشراب كله مذاقه واحد. فهل يا أخي تتذوق الحلال وتحمد عليه ذا الجلال، أم تتذوق الحرام من الشراب والطعام؟ ونعمة المال، سَلْ نفسك الآن قبل أن تُسأل غدًا ولا عمل: هل أتيت بمالك من مصدر حلال أم حرام؟ فإن كان من الحرام فإن جسدًا نما من سحت فالنار أولى به. وهل أنفقته فيما يرضي الله عز وجل أو فيما يغضبه قبل فوات الأوان وتُسأل عنه يوم يجمع الإنسان والجان؟ بل اسأل نفسك وراجعها: لمن أتكلم؟ لماذا أتكلم؟ لمن أعمل؟ لماذا أحب؟ لماذا أبغض؟ من أحب؟ من أوالي؟ من أعادي؟ لماذا أعطي؟ لماذا أمنع؟ بماذا أفكر؟ واقرأ ما قاله السلف الصالح وكيف كانت محاسبتهم لأنفسهم. قال أنس بن مالك: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يومًا، وقد خرجت معه حتى دخل حائطًا، أي بستانًا، فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في جوف الحائط يقول لنفسه: "عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين، بخ بخ، والله لتتقين الله يا ابن الخطاب أو ليعذبنك". الله أكبر أيها الكرام، هذا فاروق الأمة يفعل ذلك وهو مبشر بالجنة، فما حالي وحالك؟!

قال إبراهيم التيمي، كما في كتاب "محاسبة النفس" لابن أبي الدنيا: "مثلت نفسي في الجنة، آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار، آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: يا نفس، أي شيء تريدين؟ قالت: أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحًا. قلت: فأنتِ في الأمنية فاعملي". أنتِ في الدنيا فاعملي للآخرة. وهذا أيها الكرام حساب في الرخاء قبل حساب الشدة.

وهذه المحاسبة تحتاج إلى علم، علم قال الله وقال الرسول ﷺ وقال الصحابة، حتى تميز بين النافع والضار وبين الحرام والحلال والهدى والضلال، فتفعل الحلال النافع وتسلك طريق الهدى الرادع، وتبتعد كل البعد عن الشر الواقع،

وكذلك تحتاج هذه الموازنة والمحاسبة إلى عدم الإعجاب بالنفس والغرور بها، حتى لا ترى المعايب محاسن والسيئات حسنات والضارات نافعات، فتغبن يوم القيامة. فذكرك حسناتك ونسيانك لسيئاتك غرور، وكان كما قيل: من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه، ومما يعينك على المحاسبة أيضًا أن تميز بين النعمة والفتنة. على سبيل المثال، ولدك وابنتك، هل هما نعمة أم فتنة لك؟ فإذا كنت تبخل بالصدقة والزكاة لتنفق عليهما فهما فتنة، وإذا أدبتهما وأحسنت تربيتهما فهما نعمة تقودك إلى الجنة وتحجزك عن النار. وكذلك المال، إن كنت تتصدق منه فهو نعمة، وإن كنت تنفقه في المحرمات والملهيات فهو نقمة، فميز بين ذلك واحذر وانتبه، وإذا كان الله يمدك بالنعيم من مال وبنين ورفاهية عيش وتجارات وسيارات وأنت مقيم على السيئات والمعاصي المهلكات، اعلم أنه استدراج، فاحذر وحاسب وعد، فهي محنة في صورة منحة، {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران: 30].

من مكة إلى فلسطين

الهجرة رمز للتحـــــرر من الظلم

د. يوسف زقوت
معلم وداعية ومقدم برامج دعوية

لم تكن الهجرة النبوية حدثًا عابرًا في التاريخ الإسلامي، بل كانت حدثًا تاريخيًا عظيمًا غيّر مجرى التاريخ. ولهذا السبب، لم يكن عبثًا أن يجعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه التقويم الهجري تقويمًا رمزيًا للدلالة على انطلاقة الدولة الإسلامية. فالهجرة لم تكن مجرد انتقال من مكة إلى المدينة، بل كانت ثورة ضد الظلم والاستبداد، وبداية لتأسيس دولة الإسلام القائمة على العدل والمساواة.

ومن المسلمات أن بقاء الدعوة في بيئة معادية يعيق مسارها، ويشل حركتها، ويعرض أصحابها لشتى أنواع الأذى والاضطهاد. فهذا أمر صعب الميراث، شاق على الأتباع، ويؤخر انتشار الدعوة وتوسعها. لذا، كان لا بد من إيجاد أرض ومناخ أكثر تقبلًا للدعوة حتى تشع نورها ويصل صداها إلى العالم أجمع. والهجرة ليست بدعة من البدع في الدعوات وأصحابها، فقد حدثنا القرآن عن أنبياء هاجروا وتركوا قومهم وما يعبدون من دون الله. قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: "إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ"، وقال عن لوط عليه السلام: "فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"، وقال عن هجرة محمد ﷺ وأصحابه: "الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ".

وكانت الهجرة النبوية بعد سنوات طويلة من الأذى والاضطهاد والتعذيب والثبات على الدين، مما يدل على صدق انتمائهم وصبرهم وتحملهم لشتى أنواع الأذى في سبيل الله. جاءت هذه الهجرة بعد أن عاش أصحابها في ظل نظام جاهلي قائم على الاستبداد الطبقي، وتقديس المال والنسب والقبيلة، وتحقير الضعفاء والعبيد. وقف النبي ﷺ في وجه هذا النظام، داعيًا إلى الله وتوحيده، ونبذ الشرك وأهله. فكانت دعوته بمثابة ثورة فكرية واجتماعية وأخلاقية وسياسية، هددت مصالح كبار قريش، مما أدى إلى تصاعد الأذى والتعذيب والملاحقة للضعفاء. فكان لا بد من الهجرة، فهاجر بعضهم إلى الحبشة، ثم كانت الهجرة إلى المدينة بأمر من الله.

خرج النبي ﷺ من مكة باكيًا حزينًا، مخاطبًا إياها: "والله إنكِ لأحب أرض الله إلى الله وأحب أرض الله إليّ، ولولا أن أهلكِ أخرجوني منكِ ما خرجت". يعلمنا هذا حب الوطن، لكنه ليس أغلى من حب الدين والدعوة إليه.

الهجرة لم تكن هروبًا من الظلم والأذى، ولا فرارًا من الواقع الأليم، بل كانت خطوة استراتيجية لبناء مجتمع مسلم تسوده قيم العدل والمساواة والحرية. فأسس النبي ﷺ أول دولة إسلامية قائمة على هذه المبادئ، وأخذ بين المهاجرين والأنصار في خطوة ثورية كسرت العصبية القبلية التي سادت قريش. تمكن النبي ﷺ من بناء مجتمع مترابط قائم على العقيدة والدين، لا على القبيلة أو الدم. ثم وضع وثيقة المدينة التي نظمت العلاقة بين المسلمين واليهود وغيرهم، وهي أول دستور يقر بالتعدد والتنوع ويمنح الحقوق والواجبات للجميع. أما بناء المسجد النبوي، فقد كان مركزًا للتعبئة والإرشاد والتعليم، حتى أضحت المدينة المنورة وطنًا مستقلًا للمسلمين، ومنطلقًا للدعوة الإسلامية، وموطنًا للحرية والعدل بعد أن ضاقت بها مكة. كما كانت رمزًا للصبر والثبات والتخطيط والمواجهة والتضحية في سبيل الله. وما هي إلا سنوات قليلة حتى عاد المسلمون إلى مكة فاتحين، مكبرين، مهللين، منتصرين على أعدائهم.

وفي وقتنا الحاضر، تظل دروس الهجرة النبوية مصدر إلهام لكل من ينشد الحرية والكرامة، لا سيما شعبنا الفلسطيني. فهي تذكرنا بأن النصر آتٍ لا محالة، ولكنه لا يأتي إلا بعد الشدة، وأن التغيير يبدأ بالفكرة ثم يثمر بالتخطيط والتضحية. الهجرة دعوة متجددة للثبات على المبادئ ومواجهة الظلم بكل أشكاله، كما فعل رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، ولا يُفهم من الهجرة أن على الفلسطيني أن يهاجر من أرضه ووطنه بحثًا عن الأمن والأمان، بل يجب الثبات على الشدائد والصعاب والبقاء في الأرض لمواجهة الظلم بجميع أشكاله. فالهجرة مصطلح واسع لا يقتصر على المكان، بل يشمل هجر الأفكار والمخططات التي تسعى لإذلال أهل الحق وطردهم من ديارهم. فلابد من هجر التطبيع مع العدو، وهجر مخططاته التي تستهدف إفساد أجيالنا وإغراقهم في الشهوات والشبهات، وهجر قوانين الاحتلال وبضائعه واقتصاده، وغير ذلك من الوسائل المتاحة لمقاومة ظلم الاحتلال وأعوانه.

يجب على المسلم أن يفهم الهجرة ودروسها، فهذا الحدث الذي غيّر مجرى التاريخ يحمل في طياته كل معاني التضحية والثبات والشجاعة والصبر والتحمل في سبيل الدعوة إلى الله والتحرر من الظلم والظالمين. فلولا الهجرة، لما أشع الإسلام نوره، وارتفعت رايته، واعتزت دولته، وثبتت أحكامه، وقضي على أعدائه.

التربية الإيمانية قبل قيام الدولة

د. فايز أبو سرحان
محاضر في كلية الشريعة - جامعة الخليل

اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، الَّذِي أَرْسَلَهُ رَبُّهُ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا.

جاء النبي ﷺ برسالته إلى مجتمع جاهلي غارق في الشرك وعبادة الأصنام، فبدأ بدعوتهم إلى توحيد الله وتعظيمه في النفوس خلال الفترة المكية، استعدادًا للاستجابة الكاملة لما سيكلفون به لاحقًا عند قيام الدولة في المدينة. وقد تحقق الالتزام التام بفضل قوة البناء الإيماني الذي استمر ثلاثة عشر عامًا في مكة.

ركائز التربية الإيمانية في العهد المكي:

الركيزة الأولى: التربية على استصحاب مشاهد الآخرة

قال ابن القيم رحمه الله: "إذا خلا القلب من ملاحظة الجنة والنار، ورجاء هذه والهرب من تلك، فترت عزائمه، وضعفت همته، وَوَهَى باعثُه. وكلما كان أشد طلبًا للجنة وعملًا لها، كان الباعث له أقوى، والهمة أشد، والسعي أتم، وهذا أمر معلوم بالذوق."

كانت السور المكية للقرآن الكريم تتنزل حافلة بتصوير اليوم الآخر وأهواله وحسابه وجزائه. وكان النبي ﷺ يلفت أنظار أصحابه دومًا إلى ما أعده الله لهم في الآخرة ولغيرهم، مؤكدًا أن الدنيا ليست إلا مرحلة أولى يعقبها البرزخ، ثم الآخرة؛ فإما جنة وإما نار. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ [العاديات: 9-11]. وأشار إلى أن الحياة الآخرة تُصاغ في الدنيا بالإيمان والعمل والسلوك، كما في قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ * فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: 1-11]. هذا جعل الصحابة رضي الله عنهم يحاسبون أنفسهم ويدققون في سلوكهم وأعمالهم.

وحين كانت قريش تتسلط على المستضعفين من المؤمنين في السنوات الأولى للدعوة، كان النبي ﷺ يذكرهم بأن هذه الآلام والعذابات ستزول قريبًا بانتقالهم إلى الدار الآخرة، فقال: «صبرًا آل ياسر! فإن موعدكم الجنة».

الركيزة الثانية: التربية على الالتزام بالصلاة وتعظيم قدرها

قال يونس بن عبيد رحمه الله: "خصلتان إذا صلحتا من العبد صلح ما سواهما من أمره: صلاته ولسانه."، فمنذ اللحظات الأولى لدخول المسلم في دين الله، كان النبي ﷺ يأمره بالصلاة ركعتين قبل غروب الشمس وركعتين قبل طلوعها، ثم فُرضت الصلوات الخمس في حادثة الإسراء والمعراج. كانت الصلاة من أول ما فُرض على المسلمين في مكة. قال الواقدي: "أجمع أصحابنا أن أول من استجاب لرسول الله ﷺ من أهل القبلة خديجة، ثم كان أول ما فرض الله من شرائع الإسلام بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان: الصلاة."

نالت الصلاة عناية إلهية خاصة، حيث قام جبريل عليه السلام بتعليم النبي ﷺ الوضوء والصلاة. وكانت تُعدّ العمل الأكثر دلالة على صلة الإنسان بربه، وحبه إياه، وخوفه منه، وتعلق قلبه به. وكان النبي ﷺ إذا حانت الصلاة، خرج إلى شعاب مكة، ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه مستخفيًا من أبيه أبي طالب ومن أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات هناك، فإذا أمسيا رجعا.

قال ابن إسحاق: "كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا إلى الشعاب، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم. فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله في شعب من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم. فضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً من المشركين بلحي بعير فشجه، فكان أول دم أُهريق في الإسلام."

الركيزة الثالثة: التربية على مبدأ الأخوة الإيمانية

جاء الإسلام للناس كافة، لم تحمله عشيرة دون أخرى، ودعا النبي ﷺ الناس من جميع القبائل إلى الإيمان؛ فأبو بكر من تيم، وعثمان بن عفان أموي، والزبير بن العوام أسدي، وعبد الله بن مسعود هذلي، وعثمان بن مظعون جمحي، وخباب بن الأرت حليف بني زهرة، وبلال بن رباح عبد حبشي، وأسماء بنت عميس خثعمية، وعمار بن ياسر مذحجي.

شعر المؤمنون عند دخولهم في الإسلام أن المجتمع القائم على العشيرة والقبيلة ليس صالحًا ليربطهم به، فأبدلهم الله أخوة إيمانية تربط بينهم بروابط أرقى وأعمق من روابط النسب. كان اجتماعهم ومحبتهم لبعضهم متعلقًا برابط الإيمان وحده.

لم تغفل التربية الإيمانية المكية الجانب الإنساني لهؤلاء المؤمنين الذين قطعوا وشائج القربى والعشيرة، بل أكدت أن هذا الجانب له أثر كبير في تقوية الإيمان بالله. فالمؤمن يجد سنده النفسي والاجتماعي في إخوانه المؤمنين، وعندما تُلبى حاجته النفسية للاجتماع والحب والأخوة، يجد قلبه مفتوحًا وعقله قابلًا لمسائل الإيمان. فيلتقون على طاعة الله ورسوله ويتناصرون في ذلك. كانت اجتماعاتهم معمورة بالطاعة، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 110]: "نزلت ورسول الله ﷺ مختفٍ بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به." ولم تكن هذه الأخوة لمجرد الإيناس والترفيه.

كانت هذه التربية الإيمانية هي الأساس قبل قيام الدولة، فالفكرة والعقيدة لا بد لها من وطن ودولة تحميها. وهذا ما تحقق بعد الهجرة وقيام الدولة، بعد فترة طويلة من الإعداد والتهيئة لنظام إسلامي عادل يشمل كل نواحي الحياة، يسعد به البشر في دنياهم ويفوزون في آخرتهم إن التزموه منهج حياة وطريق نجاة.

عاشـــــوراء الصبر والثبات
في وجــه الظلم

أ. حامد أمين دراغمة
مدير دائرة القرآن الكريم في وزارة الأوقاف الفلسطينية

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه الذي اصطفى، وبعد:

عاشوراء الثبات، عاشوراء التضحية، عاشوراء التعلق بطريق الأنبياء ومسلك الأوفياء. عاشوراء في ميزان المسلمين يعني لهم الكثير. فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ لما قدم المدينة، وجدهم يصومون يومًا، يعني عاشوراء، فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجّى الله فيه موسى، وأغرق آل فرعون، فصام موسى شكرًا لله، فقال: "أنا أولى بموسى منهم"، فصامه وأمر بصيامه [أخرجه البخاري في صحيحه].

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: وحين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله ﷺ: "فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع". قال: فلم يأتِ العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ.

توضح هذه الرواية الصحيحة أن موسى عليه السلام صام هذا اليوم شكرًا لله تعالى على نجاته من فرعون وأعوانه، وأن فرعون هو رمز "الاستبداد" و"الطغيان" في كل زمان مع اختلاف الهيئات والأشكال. ونجاة موسى وقومه من الطغيان تعني انتصار الحرية والحق وعدم هزيمتهما أمام جبروت فرعون وطغيانه. وتبعه اليهود في هذا الصيام، فحين وصل النبي ﷺ إلى المدينة ووجد اليهود يصومون هذا اليوم اتباعًا لموسى عليه السلام، قال هذه المقولة المحفوظة التي بدورها عززت وغرست معاني كثيرة في نفوسنا كمسلمين، والتي لا بد لنا من وقفات وتأملات معها؛ أن الأنبياء كلهم قاطبة يصدرون من مشكاة واحدة ومن نور واحد، كما في الحديث عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "الأنبياء أولاد علات..."، وأولاد علات يعني أنهم إخوة لأب واحد من أمهات مختلفات.

المستفاد أن شرائعهم متفقة من حيث الأصول والمبدأ، وإن اختلفت من حيث الفروع حسب الزمن لكل نبي مكرّم. فهؤلاء الأنبياء مشتركون في بناء واحد ومهمة واحدة ودعوة واحدة. فجاء النبي ﷺ متممًا وخاتمًا ومزينًا في هذا البنيان الشاهق العظيم الكبير العريق. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺقال: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين" [متفق عليه].

ومن اللفتات والوقفات في عاشوراء التحدي والصمود والثبات التي نستفيدها من مضامين هذا الحدث العظيم، أن وظيفة الأنبياء عليهم السلام هي تخليص وتحرير الناس مطلقًا، بغض النظر عما إذا كان هذا التحرير من عبادة غير الله، أم من الهوى والشيطان والشرك، أم من معبود من دون الله من حجر وصنم وبشر متجبر طاغٍ في الأرض يمنع الناس عن هداية الله، ليصدهم عن سبيله ويمنعهم عن اتباع رسله وأنبيائه وأصفيائه.

كما وصف هذا الحال من الرعيل الأول ربعي بن عامر رضي الله عنه، الذي وعى وفهم وأدرك عن النبي رسالته التي هي خلاصة كل ما سبق من الرسالات، فقال لرستم: "الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام" [تاريخ الطبري].

وكذلك من معاني التصحيح المكتسبة من عاشوراء أن الحرية تستحق كل تضحية، وتوجب بذل كل غالٍ ونفيس في تحقيقها بالسبل المشروعة للغاية العظمى. ولعظمة هذا المقام، تدخلت عناية الله لتخليص موسى وتحريره وقومه بعدما أخذ موسى بكل الأسباب المتاحة له متوكلاً على مولاه سبحانه، وقبل كل ذلك وبعده ملازمة ومصاحبة واستشعار معية الله وتلبية أمره والتذلل له، "قال: كلا إن معي ربي سيهدين" [الشعراء: 62]. وبعد ذلك، شكر موسى ربه على هذه النعمة؛ نعمة الانتصار والتحرير، نعمة النشوة والحرية على الطغاة والطغيان، ولا شك أنها نعمة كبيرة تعادل الحياة بكل معانيها. وعلى ذلك، علّق الزمخشري معللاً كفارة القتل الخطأ بتحرير رقبة بقوله: "لما أخرج نفسًا مؤمنة من جملة الأحياء، لزمه أن يدخل نفسًا مثلها في جملة الأحرار، لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها" [تفسير الزمخشري]. وكذلك رأى العلامة محمد الطاهر بن عاشور أن من المقاصد العالية للشريعة الإسلامية "حصول الحرية"، وأن استقراء تصرفات الشريعة دلّ "على أن من أهم مقاصدها إبطال العبودية وتعميم الحرية".

فعليه، إن يوم عاشوراء الذي نجّى الله فيه موسى ومن معه من فرعون وجنوده، وخلّصه وحرّره فيه من الطغيان والاستبداد والعبودية، حريّ بأن يجعله المسلمون يومًا مميزًا كما ميّزه قدوتنا وقائدنا ﷺ، فأفرده بعبادة الصيام وخصّه. ولا نغفل أن يوم عاشوراء بحد ذاته يذكرنا، نحن خاصة أهل فلسطين والعالم أجمع، أن فواتح الخير ما كانت لتكون على نبي الله موسى لولا ثباته ويقينه الذي هو كالجبال الراسيات بحسن ظنه بربه ومعتقده أن طريق النصر لا يكون إلا من خلال الثبات على دين الله. وصدق قائلهم حين تكلم عما يجول في النفس لعظيم هذا المقام "الثبات حتى الممات".

يا من ضللت عن الطريق بشهوة ... أو شبهة تفضي إلى الخسران
اسمع مقالة مشفق لك ناصح ... تنجُ بإذن الواحد الديان
فإليك أسباب الثبات على التقى ... منها لزوم الصدق كل أوان
وعقيدة التوحيد من ثمراتها ... شرح الصدور لسائر الإنسان
ومجالس العلماء لا تزهد بها ... ولتصحب الأزكى من الخلان
والذكر لا تتركه إن رمت الهدى ... واحذر من الهجران للقرآن
قلب بطرفك ناظرًا ملكوت من ... هو للخليقة مظهر الإحسان
لا تأمنن مكر الإله فإن ذا ... صفة لأهل الزيغ والكفران
واسأل الثبات على الهدى من ربنا ... فهو المجيب وغافر العصيان

في الختام، نحن في هذه الأرض المباركة نعيش عاشوراء في كل يوم من ذبح وتشريد وتعذيب وتهجير واستباحة دماء. فما أحوجنا أن نتعلق بربنا، كما تعلق به صاحب عاشوراء كليم الله، وصاحب الغار خير خلق الله، ليجعل الله لنا مخرجًا كما جعل لهم مخرجًا، ويضرب لنا في البحر طريقًا يبسًا. إنه على ما يشاء قدير، وما ذلك على الله بعزيز. وصلى الله على صاحب الذكرى كليمه، وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الهجرة.. روح الأمة المتجددة

د. فادي عصيدة
دكتوراه في اللغة العربية وآدابها

تأتي الهجرة وتتراءى في الأفق البعيد، لا كحدث مرّ وانقضى، بل كشمس أبدية لا تغيب. فهي ليست رحيلًا من أرض إلى أرض، بل هي انسلاخ الروح من قيود الظلم، وانبعاث النور من رحم الظلام، وصعود الفكرة من حضيض الاضطهاد إلى فضاء التمكين. مكة في ذلك الوقت تراكمت فيها أشباح الكراهية على أنغام الجهل، وضاقت الأرض بما رحبت على حامل الرسالة محمد ﷺ وصحابته الكرام. فكانوا ثابتين كالجبال الرواسي، إلا أن الظلم كان يهددهم ويترصدهم بالتهديد في كل زاوية.

كانت طرقات مكة تضج بالمكائد والمصائب، ومع ذلك كان الأمل يطل من النوافذ ينادي الموحدين: اخرجوا إلى بلاد تشع لكم حبًا وتفتح لكم القلوب قبل الأبواب. فخرج صاحب الرسالة في سرية مطلقة مع رفيق درب صادق صدوق، خرجوا من مكة لا فرارًا من قدر محتوم، بل رسمًا لقدر جديد.

كانت كل خطوة يخطوها النبي ﷺ وصاحبه في تلك الرمال الحارقة، وكل نظرة تلقى على الكعبة وهي تتوارى، تحمل في طياتها معانيَ سامية. فكانت هجرة تحت شعار "إن الله معنا"، كان زادها الصبر الجميل، وكانت التضحية النبيلة عنوانها الأسمى، لأنها تدفع ثمن نصرة الحق وإعلاء كلمة الله.

لم تكن الهجرة رحلة بالجسد فحسب، بل كانت هجرة القلوب والعقول والنفوس، من عتمة الجاهلية إلى نور الإسلام، من العصبية البغيضة إلى الأخوة الإنسانية والإسلامية، من التشتت إلى القوة والتمكين.

استقبلت المدينة المنورة بفرح عظيم هذا القادم من بعيد يحمل معه فجر الحضارة الإسلامية، ليرسم للبشرية خريطة طريق نحو العدل والرحمة والسلام.

ونحن اليوم لا نذكر الهجرة تسلية ولا حكاية قديمة، بل نذكرها لأنها الروح المتجددة، وفيها الدرس الخالد، وهي المصباح المنير الذي يضيء دروب العزيمة في القلوب تعلمنا أن بعد كل ضيق فرجًا، وبعد كل ظلمة فجرًا، وأن الثمن الأسمى للنصر هو الإيمان الصادق والتضحية الخالصة.

ونحن اليوم في فلسطين، إذ نواجه العالم المجرم كله، نستلهم معاني الهجرة وتضحياتها. ولنعلم أن بناء الدولة والأمة ليس بالأمر الهيّن، بل يحتاج إلى صبر عظيم وتضحيات جليلة.

فقد قدّم الصحابة ورسولهم ﷺ لهذا الهدف كل ما يملكون من مال وأرض وولد، وكان شعارهم دائمًا: الدين أولى، الدين مقدم على كل شيء. فلا نعجل إن تأخر الفرج، ولا نستعجل إن ضاقت الأرض بما رحبت، ولنكن على يقين كيقين محمد ﷺ يوم قال لصاحبه: "لا تحزن إن الله معنا".

فليدعُ نادِيَه

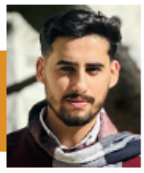

أ. نسيم عبادلة
شاعر فلسطيني

إنّ السكونُ على الديارِ حكايـــــةٌ
تروي الخـــــرابَ كما رأى راويّها

لا تسألوا: من فجّرَ الـــــدورَ التي
قد كان بالأمسِ الصغـــار يُحيِّها

كانتْ بيوتَ اللهِ... تشهدُ ركعـــــةً
واليومَ صارتْ قبلـــــــةً لبُكيّها

أطفالُنا صلّوا العشاءَ بموعـــــدٍ
ثم استفاقوا في الجنـــانِ بضيّها

أينَ الصغارُ وقد تكسّرَ ضحكُهـم؟
من ذا يواسي أُمّهم وبَنيّـــــها؟

دارٌ تُنادى في الظـــــلامِ: أحبّتي
ما عادَ يرجعُ ناصـــــرٌ لقُصيّها

أين الخيامُ؟ هناك تحتَ الرّدمِ قد
عُدِمت خيولَ التيـــهِ في بدويّها

عادت كأنّ الأرضَ بعد تفجُّـــــعٍ
وأدَتْ صغـــارَ الحلمِ في مَهديها

أينَ الملايينُ التي وعـــــــدتْ بها
شاشاتُنا؟! ما ظلَّ غيـــرُ خُويّها

وتكالبوا شتّى علينا... لم نعـــــد
نمتازُ بينَ عـــــــدوّها ووليّها

أترى المدينةَ حينَ تُؤخذُ عنـــــوةً
هل يُستعادُ النبضُ من طاغيّها؟

وتشقَّقتْ أحلامُ طفلٍ لم يـــــزل
يبكي ليحفـــــــظَ آيةً ويعيّها

خانوهُ ثم تبسَّمـــــــوا لكأنّما
من بعدِ صلـــبِ الحقِّ قام نبيُّها!

فليدعُ نادِيَه" المُنـــــادي قالها
فاستنزلـــــتْ جبريلَ من علويّها